"...بينَ طالِبانْ وهوليوود..."

بقلم: أدما حبيبي

وتبقين يا سيدتي دميةَ الشعراء. يغوصون في بحر أوصافك، علّهم يُظهرون إلى الملا ما في غورك من لؤلؤ ومُرجان. وسرعان ما يرون أنفسهم يُسبَون في أجزاءِك ويُؤخذون في دقائق هيكلك الفتّان، فيقعون من جديد في بحرِ عينيك ونظراتك الساحرة وسماتك الجميلة. ومرةً أخرى ينسون شخصيتَك النفّاذة وإنسانيتَك الأخّاذة وآرائك الثاقبة. ولسان حالهم يقول: محبتنا لك أيتها المرأة جعلتْنا نواصل الاهتمام بالأجزاء لأنَّها تتجانس معاً وتمثِّل ذلك الكل المتكامل. لكن مهلاً، أنَّى لتقطيع البناء أشلاءً أن يمنح الصورة حقَها المتكامل؟ وأنَّى بعدُ لكِ يا سيدتي أن تحظَي بروعة البناء قلباً وقالباً حين لا تزالين تتعرّضين للتجزئة أثناء التغزُّل بعينيك الريِم، ووجهك القمري وقدّك الأهيف ؟ فإذا كانت اللوحة الزيتية لا تدرّس أو تُنقد قِطَعاً فكيف بالإنسان؟ نعم، وتبقين دميةَ الشعراء تسعَين بشكلٍ دؤوب لتغييرِ هذه النظرة عنكِ واستبدالها بأخرى تليقُ بكِ وتنسجم مع إطلالتك **كالمرأة الإنسان**. فهل مَن يحب فينا الإنسانَ يا سيدتي ؟ الإنسان ومكوناته وشخصيته وأفكاره وإبداعه وخلقه ودوره الفعال والمؤثّر في الحياة؟ ألم يَقلِ الله سبحانه وتعالى بعد أن خلق آدم : ليس جيداً أن يكون آدم وحده فأصنع له **معيناً نظيره؟** فكيف لا يزال الرجل حتى الآن يغضُّ الطرْف عن نصفه الآخر بأنه **النظير** له بالإضافة إلى أنه **المعين؟** فنراه يؤخذ ببهاءِ حواء دون أن يعترف بمساواتها له وبقيمتها الحقيقية التي منحها إياها الله نفسه؟

أجل، لَكَم ظلموكِ يا سيدتي حين أرادوا أن يفسّروا الفوارق الطبيعية التي تميّزنا نحن النساء عن الرجال، فقالوا عنا بأنَّنا ناقصاتٌ عقلاً ودِيناً. سيدتي ، صرنَ ناقصاتِ عقلاً ودِيناً في عُرْفِ الكثيرين في مجتمعاتنا.لا بل أضحينا سجيناتِ دار الحريم لا ننال من الثقافة ومتاع الحياة إلا ما يقدِّمه لنا البيتُ الأبوي والزوجي.

لَكَم يَصِحُّ هنا ما كتبه الدكتور جان أحمرانيان في هذا الصدد مرةً قال: "مسكينةٌ أيتها المرأة ابنةً كنتِ أم زوجةً أم أماً. حركة طالبان لفَّتك وغطتك من أعلى رأسك إلى أخمص قدميك. وهوليوود خَلعَتْ عنكِ كلَّ ما يسترُكِ من رأسكِ إلى أخمص قدميك. مسكينةٌ أنت أيتها المرأة ! حركة طالبان عزلَتْكِ عن المجتمع، وشجّعتك على الانزواء. وهوليوود شجعتك على التنقل من حضن إلى حضن. فلا فرقَ أن تقاسمي فراش زوجك مع ثلاثة مثلك في بيت شرعي ، أو تقاسمي مصير ثلاثة مثلك موزعات في عدة مدن بطريقة غير شرعية. ففي كلا الحالتين أنت الضحية. ولكي ينزِعوا عنك قدسية زواجك ربطتك أديان بزواج المتعة وزواج

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

الحر وزواج التسرّي. وهناك مجتمعات لم تعترف إلا بزواج مدني. فكل هذه الأصناف من الزيجات لا تدخل في مشروع الله سبحانه وتعالى. فأنتِ لستِ سلعةَ زوجك يتصرف بك على هواه. أنت بيد الله الذي وحَّد بينكما بالزواج. فليس الهجر في المضاجع المعهود في تعاليم هوليوود ، ولا الضرب للزوجة حَمْلاً على طاعته كما هو الحال في طالبان من أحكام الله."

أجل يا سيدتي، لَكَم ابتعد الإنسانُ عن المبادئ الصحيحة النقية. ولكم انجرف في تيارات الانحراف عن الصفاء والنقاء الأول لتعليم الله الحقيقي. ونحن لازلنا نتأرجح تارةً في ظلّ هذه الديانة أو تلك، وتارةً أخرى تحت ظلِّ التمدّن والتطور. لكنْ لحظةَ تأمُّل واحدة، لا بدَّ لنا فيها أن نعود إلى الإنجيل المقدس الذي هو قمةُ وذروةُ التعليم الإلهي الكامل ليس في شأن المرأة والرجل فحسب بل في كل الشؤون والشجون . إذ فيه أعلن الرب يسوع المسيح المخلص الوحيد والفادي الفريد **الحقَّ كاملاً ومتكاملاً**. لقد بيّن للإنسان في تعليمه ما هو أسمى من كل شريعةٍ وواجب. أراه ما هو أبعد وأعمق بكثير من الوصية، فأيقظ في الإنسان فكره وأحاسيسه ، قلبه مركز عواطفه، وأراه بُعداً آخر يتخطى الحرف الذي يقتل إلى عمل الرحمة الذي يُحيي ويخلق من جديد.

فنرى المرأة في المسيحية جالسة عند قدمي

السيد تستمع إلى حديثه كما فعلت مريم

أخت لعازر. ونراها أيضاً تأتي إليه نادمة على خطاياها الكثيرة، تغسل رجليه بالطّيب وتمسحهما بشعر رأسها ممَّا أدهش اليهود الجالسين وأغاظَهم. لكن يسوع الحنون لم يسكت عن فضلها هذا بل مدح عملها العظيم وقال بأنه حيثما يُكرز بالإنجيل في كل العالم يُخبرُ أيضاً بما فعلته هذه المرأة تذكارا لها. ثم ماذا عن الزواج وعن علاقة الرجل بامرأته؟ ماذا يعلمنا الإنجيل المقدس في هذا الشأن؟ أليس الزواج في المسيحية عقداً مقدساً؟ بالطبع، فهو ليس عقداً بشرياً اجتماعياً فحسب بل إنه عقد مقدس يربط الرجل بامرأته حتى الموت. والزواج سرٌّ عظيم. ويوم سأل الفريسيون المسيح ليجرّبوه قائلين: هل يحل للرجل أن يطلِّق امرأته لكلّ سبب؟ أجاب وقال **لهم أما قرأتم أن الذي خلق من البدء خلقهما ذكرا وأنثى؟ وقال: من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسدا واحدا. إذاً ليسا بعد اثنين بل جسد واحد. فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان**. ولما سألوه عن كتاب الطلاق الذي سمح فيه موسى قال لهم يسوع: **إن موسى من أجل قساوة قلوبكم أذِن لكم أن تطلّقوا نساءكم. ولكن من البدء لم يكن هكذا**." (متى ١٩). نعم من البدء لم يكن هكذا يا سيدتي. وبيّن المسيح أن الطلاق لا يحلُّ إلا في حالة الزنى، وفي هذه الحال يكون أحد الزوجين قد نقض العهد الذي قطعه على نفسه أمام الله والناس. وعليه يحلُّ الطلاق. وماذا عن تعداد الزوجات ؟ أليس الزواج وحدة الجسدين والقلبين والنفسين؟ فكيف يحافظ على وحدانيته مع شريكه حين يتزوج أكثر من امرأة؟ فالزوجية ليست معاشرةً عابرة، إنما هي وحدة شخصين ليس في الجسد فحسب بل في الفكر والقلب والعواطف.

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

ثم ماذا يعلّمنا الرسول بولس في رسالته إلى المؤمنين في أفسس؟ ألم يرشده الروح القدس إلى الكتابة للمؤمنين هناك عن السر العظيم والذي مثَّله بالزواج بين الرجل وزوجته؟ قال: **أيها النساء اخضعن لرجالكن كما للرب. لأن الرجل هو رأس المرأة كما أن المسيح أيضا رأس الكنيسة. وهو مخلص الجسد... أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح أيضا الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها. ... كذلك يجب على الرجال أن يحبوا نساءهم كأجسادهم. من يحب امرأته يحب نفسه. فإنه لم يبغض أحد جسده قط بل يقوته ويربيه كما الرب أيضا للكنيسة... من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسدا واحدا. هذا السر عظيم ولكنني أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة.**" **(أفسس٥: ٢٢-٣٢)**

بيَّن الروح القدس مركز الرجل ومركز المرأة في البيت المسيحي. وشبه الرسول علاقة الرجل بزوجته بأعظم تشبيهٍ وأبلغ تمثيل حين قال لهم عن علاقة المسيح بالكنيسة. فتكلم بالروح القدس عن محبة المسيح للكنيسة إذ فداها واقتناها بدمه الثمين، وعن تقديسه لها وتطهيره لها من كل عيب وغضْن. فوضّح للمؤمنين هنا مركز الرجل في البيت الذي هو كمركز المسيح في الكنيسة ومسؤوليته في المحبة والبذل والعطاء والاهتمام . مسؤولية الرجل أن يحب المرأة كما أحب المسيح الكنيسة فتقابله المرأة بالهيبة والاحترام والتقدير والخضوع التلقائي. فالبذل والتضحية والمحبة والعطاء لابدَّ أن يثمروا في **المحبوب** فيَهِبُ عندئذٍ كلَّ ما عنده من احترام وتقدير **وخضوع ذاتي** . حقاً ما أجمل هذه العلاقة التي تكلَّم عنها الوحي المقدس في الإنجيل. وهكذا يصون الرجل كرامة المرأة عن طريقة محبته لها كنفسه. فلا تأتي الصيانة والحفاظ على المرأة بطريقة السيطرة والاستغلال. بل بالتفاهم والانسجام والوئام.

نعم مسكينة أنت أيتها المرأة التي مازلتِ تتخبَّطين في خضم تيارات المجتمع والثقافات المختلفة. مسكينة حقاً لأنه **لا طالبان ولا هوليوود** يصونان كرامتك. فكلاهما يستغلّك. الأول للسيطرة عليك والثاني لكسب المال من وراء استهلاك جسدك. ولا خلاصَ لكِ ولكرامتك وشرفِك إلا بالعودة إلى ما قاله الفادي والمخلص الرب يسوع المسيح وحده مؤكِّداً بذلك تعليم الله منذ البداية أي منذ النقاء والصفاء الأول ": **لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته فيصير الاثنان جسدا واحدا.**"

فأنتِ يا دميةَ الشعراء ويا محطَّ اهتمام هوليوود ويا جسداً مخفياً وراء عباءة التقاليد مازال يتلقى عصيّ الطالبان في القرن الحادي والعشرين، ما أعظم مركزَكِ الذي منحَكِ إيَّاه الفادي والرب يسوع المسيح. ما أجَلَّه وأكبرَه. لم ينظر المسيح قطُّ إليك كامرأة فقط، بل نظرَ إلى شخصك الإنسان، إلى قلبك من الداخل، نظر إلى آلامك ومعاناتك، وجاء ليحرِّرك من كل هذه القيود التي تكبِّلك وتجرح نفسيتَك . جاء لكي يعيد لك مكانتك المسلوبة وحقك المشروع الذي ولدت فيه منذ بدء الخليقة. ونظر إليكِ كإنسانة متكاملة، وأحبكِ كما أحب باقي الجنس البشري، ومات عنكِ على الصليب لكي يهبَكِ الحياة والحياة الفضلى فوقُ في دار النعيم. لأن "**في المسيح يسوع ليس هناك فرق بين ذكر وأنثى.**" فهل وصلتِ إلى هذه النتيجة يا سيدتي؟ وهل عرفتِ المخلص الفريد الوحيد الذي

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

نظر إليك نظرة المحبة الحقة مثلما نظر للرجل تماماً . نظر إلى شقيّ الخليقة بشكل متساوٍ ولم يفرّق قط بينهما. وهكذا منحكِ الفرصة لكي تعيدي صلتَكِ بالله خالقك الذي خلقكِ على صورته ومثاله منذ البداية تماماً كما خلق آدم على صورته هو ومثاله هو. أمَا وقد علمتِ الآن كل ما عمله الفادي المسيح من أجلك فهل تبقينَ على حالكِ **مسكينة؟** يعتمد كلُّ هذا الآن على اختياركِ الشخصي. فماذا تختارين؟ **طالبان؟ هوليوود؟ أم المسيح؟ كلاَّ لا أقول المسيحية بل أقول المسيح؟!**

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service